إضاءة

انطلق «معجم الدوحة» رسمياً في 2013، لكنّ هذه السنوات التسع ليست إلّا التاريخ الرسمي، حيث يضيف المفكّر العربي عزمي بشارة ـ في افتتاحه، أول أمس الثلاثاء، أعمال المؤتمر الثالث للمعجم ـ عامين يمثّلان الجزء السرديّ العزيز من عمارة علمية ناهضة

الدوحة ـ **محمد هديب**

معجم الدوحة أحد عشر عاماً من شغف اللغة والتاريخ

مسؤولية التأليف، لا تساهُل الإعداد

لا أحد من البشر إلّا وخبر متعةَ اللغة، وهو يقع مصادفةً على كلمة ارتحلت من قوم إلى أقوام أخرى. مصادفة قد تتطوّر إلى نسبة ما من الرصد والانشغال. ولعلّه يقع على دلالة جديدة، أو مفردة دارجة فوجئ بأنها موصولة بجذر قديم، سواء في لغته الأم، أو الخالات اللواتي أقرضنه مفردات منذ آلاف السنين.

هذه تسع سنوات منذ انطلاق «معجم الدوحة التاريخي للغة العربية» رسمياً في أيار/ مايو 2013؛ سنوات مشروع شاقّ، وشيّق، وشائك وشائك، تحملها كلمات متجاورة، تقدّمها هنا وتؤخّرها هناك، أو تكون معاً الراحة الكبرى على جسر من التعب.

بيد أن لا أحد من القائمين على مشروع «معجم الدوحة» يحرّك وصف «شاقّ» بقافها المشدّدة من صدارتها، لجملة أسباب تقف جميعها وراء كلمة واحدة: المسؤولية. وهذه السنوات التسع ليست إلّا التاريخ الرسمي، وإنّ تذكير المفكّر العربي عزمي بشارة ـ في افتتاحه أعمال المؤتمر الثالث لـ«معجم الدوحة»، أوّل أمس الثلاثاء ـ بأن المعجم بدأ في 2011، يضيف عامين يمثّلان الجزء السرديّ العزيز من عمارة علمية ناهضة، بما فيهما من إرادة ورشح جبين، وشغف.

مُحاضر المجلس العلمي للمعجم ستُنشر قريباً، كما قال بشارة؛ ليس فقط بوصفها شهادة ميلاد تاريخية، بل أيضاً لأن مداولاتها في حدّ ذاتها تصلح مصدراً للدراسات المعجمية.

والمعجم، بهذا المعنى، صاحب السبق في وضع منهج عمل هذا المشروع وخطّته وهيكله وتأليف متنه الرئيس وإطلاقه. وبما هو مسؤولية، فإن الأولوية التي يؤكد عليها بشارة كانت وستبقى في عدم وجود حلول وسط أو تسويات تجاه علمية المنهج، وموثوقية المصادر، ودقّة المعالجة المعجمية، وسلامة التحرير، ومرجعية الاعتماد قبل النشر.

هذا هو الإطار الحقوقي والأخلاقي لكلمة «السبق» مقرونةً بالمسؤولية، التي أكّدها المدير العام للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات غير مرة، حتى لا يكون السبق مغرياً وشاغلاً عن أضخم مشروع معجمي تاريخي ينتظر أن يستكمل مرحلته الثانية في غضون أشهر قليلة، وصولاً إلى المرحلة الثالثة، التي توصف بالمفتوحة، والتي يستمر العمل فيها بشكل حثيث ومتأنٍّ ومدروس، لمراجعة ما أُنجز، ومن ثم مواصلة التأريخ ودراسة تطوّر الدلالات ونشوء الألفاظ الجديدة من القرن الخامس الهجري حتى اليوم.

مسؤولية تأصيل الألفاظ بسياقها العلمي والمعرفي الذي نشأت فيه وتطورت، فضلاً عن صلتها بمحيطها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي وصفته، وعبّرت عنه تاريخياً، تجعل المعجم مؤلّفاً تأليفاً لا معدّاً إعداداً، وفق بشارة.

من لقاني جلسات المؤتمر، أوّل أمس الثلاثاء (معجم الدوحة)

مع التقدير للجمع والإعداد، إلّا أن التأليف المعجميّ التاريخي حفرٌ عمودي في علاقات المعرفة اللغوية وطبقاتها، مارسه بجهد فردي ابن منظور معتمداً على معاجم سابقة، كما ذكر، في مداخلته أول من أمس، رمزي منير بعلبكي، أستاذ كرسي «جُويت» للدراسات العربية في «الجامعة الأميركية في بيروت»، «إذ قال واضع لسان العرب، وربما لتواضعه، إن فضله يقتصر على الجمع. إنما فضله في توسيع الرّمز الدلالية».

على مدار يومين، قدّم ما يزيد على أربعين باحثاً أوراقهم. منهم علماء في المجلس العلمي للمعجم وخبراء مشاركون في تأليفه، وأساتذة من «معهد الدوحة للدراسات العليا» ومن جامعات عربية وغربية مختلفة وطلبة دكتوراه.

الحديث ذو شجون في التجارب المعجمية والنظائر السامية والتآثيل في المعجم، والمعجم والدلالة، والمعجم والقضايا اللسانية، والمعجم والبعد الحضاري، والمقارنات بين المعاجم.

> «معجم الدوحة» مؤلَّف تأليفاً وليس معدّاً إعداداً، يقول بشارة

> مسؤولية تأصيل الألفاظ بسياقها المعرفي الذي نشأت فيه

ومن الحديث ما جال في الاقتراض اللغوي. هذا هو إبراهيم بن مُراد، عضو المجلس العلمي لـ«معجم الدوحة»، يحدّثنا عن أن المعجم يثبت أن اللغة العربية لم تكن بدعاً بين اللغات في التعامل مع ظاهرة الاقتراض، بل كانت لغة مقترضة كما كانت لغة مُقرِضة، وهي ليست أمّ اللغات، وليست لغة آدم في الجنّة، وأن التعصّب الديني والمذهبي سبب في إضعاف دراسة الاقتراض خشية البحث فيها بعد أن كفّر بعض الفقهاء القول بوجود أعجمي في القرآن.

كما يتحدّث محمد العبيدي، نائب المدير التنفيذي لـ«معجم الدوحة»، في السياق ذاته، قائلاً إن اقتراض الألفاظ لا يشكّل خطراً على اللغة إذا كان في الحدود المقبولة، ولا سيّما في الإطار المعجمي.

نسمع كثيراً في أوراق المؤتمر مصطلح «التآثيل» والذي يضيئه العبيدي هنا بالقول إنه «تأصيل الألفاظ الأعجمية، والمقصود بالأعجمية: أي التي تنتمي إلى لغات غير سامية. أمّا اللغات السامية فتُعدّ أخوات ونظائر للغة العربية».

ذهبت أكثر من ورقة للبحث في تاريخية المعجم، ولعل أكثرها سخونة ورقة حسن حمزة، رئيس برنامج اللسانيات والمعجمية العربية في «معهد الدوحة للدراسات العليا»، وهي بعنوان «فصل المقال بين البقّال والبدّال». انتقى المتحدّث مثالاً فاقعاً من «المعجم الوسيط» و«المعجم الكبير» لمجمع اللغة العربية في القاهرة، إذ يجري تعريف البقال بأنه «بائع البقول، والعامّة تطلق «البقّال» على من يبيع الماكولات من كلّ شيء».

ولدى تعجبه من عامّية «البقّال»، عاد حمزة إلى المعاجم القديمة فلم يجد مدخلاً فيها، ورجع إلى «معجم الدوحة» الذي تتوقّف مدونته في مرحلته الأولى عند عام 200 للهجرة، ليجد البقال في نصوص يعود أحدها إلى العام 82 للهجرة، بينما يشير أغلبها إلى أن «البقّال» يُطلق على صاحب دكّان يبيع مختلف الأشياء من أطعمة ومستلزمات الحياة اليومية.

إذن، لم يكن البقّال يبيع البقول إلّا في أوّل العهد به، ثم صار يبيع أطعمةً أخرى، ومن ثم يبيع كلّ شيء. كل هذا يدفع بالباحث إلى خلاصة واحدة تفيد بأن المعاجم ليست المرجع الصالح للنظر في التاريخ للألفاظ العربية وتطور دلالاتها، وأن الاعتماد على المعاجم في صناعة معجم تاريخي، يصيبها في مقتل.

كلمات ودلالات

شهدت هذه النسخة الثالثة من المؤتمر الدولي لـ«معجم الدوحة التاريخي» ـ والتي حملت عنوان «معجم الدوحة التاريخي للغة العربية وأبعاده العلمية والحضارية» ـ 11 جلسة توزّعت على مدار يومين، وشارك فيها أكثر من 40 باحثاً ولغوياً من مختلف البلاد العربية ومن خارجها؛ في حين سيتمّ نشر مجمل الأوراق المشاركة في المؤتمر ضمن مجلّة «كلمات ودلالات» التي يصدرها المعجم قريباً بالتعاون مع «معهد الدوحة للدراسات العليا».

أصدقاء لغتنا

العودة إلى «مذكرات دجاجة»

باتريتسيا زانيللي

تقف هذه الزاوية عند مترجمي الأدب العربي إلى اللغات العالمية المختلفة، ما هي مشاغلهم وأسئلتهم وحكاية صداقتهم مع اللغة العربية

البندقية ـ **العربي الجديد**

■ متى وكيف بدأت علاقتك باللغة العربية؟

في عام 1978 بدأت دراسة اللغة العربية والأدب العربي بـ«جامعة كا فوسكاري» بفينيسيا Ca' Foscari University of Venice

■ ما أول كتاب ترجمتِه وكيف جرى تلقيه؟

أوّل كتاب ترجمته من العربية إلى الإيطالية كان رواية «الطوق والإسورة» (1975) للكاتب المصري يحيى الطاهر عبد الله، ونشرت ترجمتي دار نشر صغيرة، ولم يحظ الكتاب باستقبال كبير في إيطاليا، لأن دور النشر الصغيرة لا تملك الموارد المالية الكافية لإعلان كتبها.

■ ما آخر إصداراتك المترجمة من العربية، وما إصدارك المقبل؟

آخر كتاب قمت بترجمته ونشره كان رواية «مذكرات دجاجة» (1943) للكاتب الفلسطيني إسحاق موسى الحسيني، ونشرت ترجمتي عام 2021. إصداري القادم سيكون مقالاً أكاديمياً عن ذات الرواية «مذكرات دجاجة».

■ ما العقبات التي تواجهك كمترجمة من اللغة العربية؟

الصعوبات الرئيسية التي أواجهها هي: 1) التكرار المعتاد في اللغة العربية، بينما التكرار غير معتاد وغير مقبول على نطاق واسع في الإيطالية، وخاصة في النصوص الأدبية؛ 2) فهم المعنى الدقيق لكلمة عربية في سياق معين، عندما يكون للكلمة نفسها معانٍ كثيرة.

■ نلاحظ أن الاهتمام يقتصر على ترجمة الأدب العربي وفق نظرة واهتمام معينين، ولا يشمل الفكر وبقية الإنتاج المعرفي العربي، كيف تنظرين إلى هذا الأمر، وما السبيل لتجاوز هذه الحالة؟

أعتقد أن هذا الأمر نابع من التحيّز الغربي تجاه الثقافة العربية الإسلامية، أي من ظاهرة الإسلاموفوبيا المرتبطة بالعلاقات السياسية الصعبة أو المعقّدة بين الغرب والعالم العربي الإسلامي. المشكلة الأساسية هي العنصرية المنتشرة في المجتمعات الغربية، والإعلام الغربي يلعب دوراً هامّاً في هذا الصدد. بالطبع، ترغب دور النشر في بيع الكتب التي تنشرها، وفي إيطاليا -وفي الغرب بشكل عام- هناك عدد محدود فقط من دور النشر الصغيرة، على استعداد لنشر كتب من المؤكد أنها لن تحصل على استقبال كبير بسبب هذه التحيّزات. للتغلب على هذه المشكلة سيكون من الضروري التغلب على العديد من المشاكل السياسية القديمة. ما زالت القضية الفلسطينية مهمّة في ما يخص العلاقات بين الغرب والعالم العربي، حتى لو كانت وسائل الإعلام الغربية، اليوم، تتحدث عنها أقلّ بكثير مما كانت عليه في الماضي. يركّز الإعلام الغربي الآن بشكل أساسي على الهجرة إلى الغرب، وعلى الحركات الإسلامية المتطرفة الرجعية؛ والمجتمعات الغربية مهتمّة قبل كل شيء بالقضايا البيئية.

■ هل هناك تعاون بينك وبين مؤسسات في العالم العربي أو بين أفراد. وما شكل التعاون الذي تتطلعين إليه؟

لا، ليس هناك تعاون بيني وبين مؤسّسات في العالم العربي أو بين أفراد. أتطلع إلى التعاون الثقافي بشكل عام، وليس في مجال الترجمة فقط.

> قضية فلسطين ما زالت الأهم، وإن قلّ الحديث عنها في الغرب

■ ما المزايا الأساسية للأدب العربي، ولماذا من المهم أن يصل إلى العالم؟

يتحدث الأدب العربي، مثله مثل أي أدب آخر، عن الإنسان. يصف النص الأدبي تجارب الناس الحياتية ومشاعرهم وعواطفهم وتطلعاتهم وحالاتهم النفسية، وبالتالي ينقل رسالة إنسانية عالمية. بشكل عام، يقدّم الأدب العربي صورة للمجتمعات العربية تختلف عمّا تقدمه وسائل الإعلام الغربية. لذا، من المهمّ أن تصل هذه الآداب إلى العالم، ولا سيّما إلى الغرب. بالطبع، يجب أن يكون النص الأدبي ذا قيمة جمالية، وإلّا فلن يقرأه القرّاء. أعتقد أنّ الشعر والقصة القصيرة من أفضل الأنواع الأدبيّة في الأدب العربي المعاصر. لا يوجد وكلاء أدبيون في العالم العربي، وسيكون وجود هؤلاء المحترفين ضرورياً قبل كلّ شيء لتطوير الرواية العربية.

باتريتسيا زانيللي

بطاقة

Patrizia Zanelli مترجمة وأكاديمية إيطالية، تُدرّس الأدب واللغة العربيين في «جامعة كا فوسكاري» في البندقية (فينيسيا)، وعضو في «الجمعية الأوروبية للأدب العربي الحديث» (EURAMAL) وكذلك في «معهد كارلو الفونسو نالينو للشرق» في روما. نقلت من العربية إلى الإيطالية عدّة أعمال، من بينها: «مذكّرات دجاجة» (2021) لإسحق موسى الحسيني، و«الخريف، هنا، ساحرٌ وكبير» (2013) لجلال حاجي، و«وردة» (2005) لصنع الله إبراهيم. أصدرت كتاباً تعليمياً حول اللهجة المصرية (2016). وشاركت، مع كلّ من باولو برانكا وباربارا دي بولي، في تأليف «ابتسامة الهلال: الفكاهة والتهكّم والهجاء، في الثقافة العربية» (2011).

معرض

فريديريك برولي بوابريه الفن لفهم الذات الأفريقية

اختراع أبجدية جديدة

يضمّ المعرض، المقام حالياً في نيويورك، مختارات من أعمال الفنان الإيفواري وثّق فيها تقاليد ومعتقدات ومعارف قبائل «بيتي» الأفريقية

نيويورك ـ **العربي الجديد**

في عام 1948، بدأ فريديريك برولي بوابريه رحلته لابتكار نظام كتابي لقبائل «بيتي» الأفريقية التي ينتمي إليها من أجل تدوين ثقافتها الشفوية التي تعود إلى مئات السنين، من خلال صنعه ثماني بطاقات بريدية من ورق مقوّى رسم عليها بقلم الحبر الجاف والرصاص الملوّن الشمس ككرة شائكة مع رسوم توضيحية أخرى، ليؤسّس أبجدية تضمّ أربعمئة وثمانية وأربعين رمزاً كتابياً.

تلقّى الشاعر والرسّام الإيفواري (1923 – 2014) تعليمه الابتدائي إبّان الاستعمار الفرنسي لبلاده، وعمل كاتباً في الإدارة الحكومية حيث رسم في تلك الفترة حيوانات وطيوراً وأدوات من الخشب والعاج والمعدن ورموزاً أسطورية، وغيرها من المفردات التي استمدّها من محيطه، في محاولة لإعادة إنتاج تراثه.

حتى الثالث عشر من آب/ أغسطس المقبل، يتواصل في «متحف الفن الحديث» بنيويورك معرض «فريديريك برولي بوابريه: عالمٌ غير مقيّد» والذي افتُتح في الثالث عشر من آذار/ مارس الماضي، ويضمّ مختارات من أعماله التي وثّقت التقاليد والمعتقدات الدينية والروحية والمعارف الشعبية لقبائل «بيتي». على بطاقات بريدية تجاوز عددها الألف، يتعرّف الزائر على مواضيع مختلفة شغلت بال الفنّان، بعضها مشاهد من الحياة اليومية لمدينة أبيدجان؛ العاصمة السابقة لساحل العاج، والتي انتقل للإقامة فيها آتياً من قريته زيبريغوه، إلى جانب أعمال تستكشف قضايا مثل الديمقراطية وحقوق المرأة والمبادئ السياسية التي آمن بها.

حتى زمن قريب، لم يزِ العديد من النقّاد والفنانين في الغرب ممارسة كثير من الفنانين الأفارقة بوصفها فنّاً يمكن عرضه في المتاحف والغاليريهات، لأنها تنطلق من نظرة مختلفة لماهية الفن ووظائفه، والتي ينقضها بوابريه بعبارة واحدة يقول فيها: «لا أرسم من مخيلتي»، في إشارة إلى أن الفن لديه خارجٌ عن تلك الأسس الجمالية والمعايير الفنية التي روّجت لها المرجعيات الأكاديمية الأوروبية منذ قرون.

تتطابق الكتابة مع الرسم في تجربة بوابريه، وبمعنى أدقّ فإن كلّ ما يخطّه من أشكال وحروف وصور هو نظام واحد لا يمكن تصنيفه كلغة أو كرسوم، إذ لا فوارق لديه بين ما هو بصري وبين ما هو لغوي مكتوب، وما كان عسيراً على الفهم قبل عقود بات اليوم معترفاً به في القارة الأفريقية وخارجها.

الفنان الذي لم يتلقَّ تعليماً متخصّصاً في الفنون، اطّلع في مرحلة باكرة من حياته على تنظيرات السياسيّ والمؤرخ السنغالي شيخ أنتا ديوب (1923 - 1986) حول المشتركات الثقافية التي تربط شعوب القارة السمراء، وبناءً عليه بدأ بحثه عن واحدة من أقدم اللغات الإفريقية، لغة «بيتي»، التي ستشكّل محور فنّه على مدار أكثر من ستّين عاماً.

يضمّ المعرض لوحات من إحدى عشرة سلسلة نفّذها بوابريه في حياته، وتمّ ترتيبها وفق تسلسلها الزمني مع ربطها بمجموعة أحداث كبرى أو معايشات حياتية ذات صلة بها، مثل عام 1957 الذي استقلّت خلاله ساحل العاج، إلى جانب رسومات لأدوات الزراعة والآلات الموسيقية لدى شعب «بيتي»، وأخرى تبيّن تأمّلاته حول الجمال وحقوق الإنسان والحرّية.

«رؤية الهبة 11 مارس/ آذار 1948» لـ بوابريه (من المعرض)

فعاليات

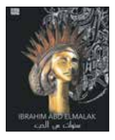

تحت عنوان **سنواتٌ من الحب**، يتواصل، حتى الأوّل من حزيران/يونيو المقبل في «خاليري سفر خان» بالقاهرة، معرضٌ استعادي لتجربة التشكيلي والناقد الفنّي المصري **إبراهيم عبد الملاك** (1944 - 2011)، ويضمّ مجموعة من أعماله تتوزّع بين الرسومات الحبرية واللوحات والأعمال النحتية المعدنية والخشبية.

بفيلم **غدوة** للتونسي **ظافر العابدين**، تنطلق، بعد غدٍ السبت، في «مسرح الحكواتي» بمدينة القدس المحتلّة، فعاليات الدورة الثانية من **مهرجان القدس للسينما العربية**، وتستمرّ حتى التاسع عشر من الشهر الجاري، بمشاركة ستّة وعشرين فيلماً بين روائيّ طويل وقصير ووثائقي. تتوزّع العروض بين «المركز الثقافي الفرنسي» و«المركز الثقافي التركي - يونس امرة».

ضمن سلسلة عروض يُقيمها في ذكرى ميلاد الموسيقار المصري (1892 - 1923)، يحتضن «مترو المدينة» في بيروت، عند السابعة من مساء الاربعاء المقبل، حفلاً بعنوان **130 سنة سيد درويش**. من المشاركين: **ساندي شمعون**، و**ياسمينا فايد**، و**زياد الأحمدية**، و**فراس عنداري**، و**فرح قدّور**، و**نور حمزة**، و**مازن ملاعب**، و**ايمن سليمان**.

في الثاني والعشرين من الشهر الجاري، تنطلق في «مركز الفنون الاميركي» بمدينة الدار البيضاء المغربية ورشاتُ الدورة الثانية من **زمالة الكاريكاتير النساني** بتنظيم «جمعية حبر». يضمّ البرنامج، الذي يستمرّ ستّة اشهر، خمسين ورشة في فنّ الكاريكاتير لفائدة مغربيات تتراوح اعمارهن بين 18 و35 سنة.